سمات المنظومة الفكرية لدول المنافسة الرأسمالية

أ . د . لطفي حاتم
عميد كلية القانون والعلوم السياسية في الاكاديمية العربية في الدنمارك

ملخص باللغة العربية.

ـ سمات المنظومة الفكرية لدول المنافسة الرأسمالية ـ بحثا جديداً حيث لم يجد الباحث دراسات سابقة تترابط فيها المنافسة الرأسمالية مع التيارات الفكرية السائدة والمعارضة لها ، لذلك واستنادا الى حيوية البحث تعرضت الدراسة الى كثرة من الاشكالات الفكرية والسياسية منها على سبيل المثال وحدة وتناقض عالمنا المعاصر حيث تتبدى الوحدة في سيادة خيار التطور الرأسمالي مترابطة ـ الوحدة ـ مع تناقضات تفسرها حدة وشراسة المنافسة الرأسمالية بين دول الكولونيالية الجديدة وبين الدول الرأسمالية الناهضة . وبهذا الاطار توقفت الدراسة عند محورين الأول منهما تضمن مسارات تطور المنافسة الرأسمالية بأشكالها الاقتصادية ، القانونية والسياسية وتأثيرات ذلك على تطور العلاقات الدولية. اما المحور الثاني الموسوم ـ المنافسة الرأسمالية وسمات فكرها السياسي ـ فقد جرى توزيعه على مفصلين الاول تعرض الى دول الكولونيالية الجديدة وتيارات فكرها المعاصر بدأً بالليبرالية الجديدة التي شكلت ولا زالت رافعة ايديولوجية لحركة رأس المال الامريكي مرورا بالتيارات اليمنية التي تعتبرها الدراسة مؤسسات اجتماعية سياسية مدافعة عن المصالح الاجتماعية لشركات بلادها الاحتكارية فضلا عن التعرض لفكر الاشتراكية الديمقراطية والتغيرات المصاحبة لحركتها المعاصرة . اما المفصل الثاني فقد تناول دول الرأسمالية الناهضة وسمات فكرها السياسي متوقفاً عند سمات الايديولوجية الوطنية التي وصفتها الدراسة بأنها شكلا أيديولوجيا يهدف الى شد وحدة النسيج الاجتماعي لدول الرأسمالية الناهضة وضمان تطورها في وجه المنافسة الرأسمالية .

ملخص باللغة الإنكليزية.

Characteristics for the Ideological System of Competitive Capitalist Nations
English Abstract:
Characteristics for The Ideological System of Competitive Capitalist Nations – is a new research in which we did not find previous studies that connects the characteristics of competitive capitalism with ideological powers that are with or against its principles. Therefore, out of the originality of this research, this study presents an array of intellectual and political entanglements, such as the unity and contractiveness of our modern world. In which the unity is apparent in the

dominance of the option of capitalist evolution, along with contradictions that are explained by the edginess and ferociousness of capitalist competition between the new colonial countries and the uprising capitalism countries. In that regards, the study is dealing with two subjects; the first is about the evolution pathway of capitalism competition in the economical, legal, and political form of it, and the effect of them on the advancements of international relations. The second subject, entitled "capitalist competition and the characteristics of its political ideology", has been detailed in two sections. The first discusses the new colonial nations, and the powers of its current ideologies, the study has highlighted the most important dominant ideological powers, starting with the new liberalism, which formed, and still are an "ideological lift" for the American capitalistic expansion nature, with the right-handed powers, in which the study considers a socio-ideological institutions which defends the benefits of its countries assets. The study also discusses the ideology of democratic – communism, and the ongoing changes which are associated with its current situation. The second section is dealing with the uprising capitalistic countries and focusing on the characteristics of its national ideologies, in which the study suggest it to be an ideological form which aims to strengthen the socio-fabric of uprising capitalistic nations, and ensure its evolution in the face of capitalist competition.

المقدمة.

أفرزت وحدة العالم الرأسمالية اشكالا متعددة من النزاعات الوطنية والدولية وتشتد المنافسة الرأسمالية بين الدول الكبرى انطلاقا من نزعتين أيديولوجيتين اولاهما النزعة الاممية التي يسعى الرأسمال الامريكي تعميمها انطلاقا من محاولات ضم وإلحاق مناطق حيوية من دول العالم لمصالحه الحيوية . وثانيتهما النزعة الوطنية لدول الرأسمالية الناهضة التي تشكل رافعة لصيانة مصالحها الاستراتيجية . وبهذا المعنى نشير الى أن النزاع بين المصالح الوطنية للدول الرأسمالية الناهضة والمصالح الأممية لحركة رأس المال الامريكي تعكس مصالح مرحلتين متباينتين من التطور الرأسمالي مرحلة العولمة الرأسمالية متمثلة بانتشار وتوسع الرأسمال الامريكي وانتقاله من الضفاف الوطنية الى الضفاف الاممية ومرحلة ثانية أميل الى توصيفها بمرحلة رأسمالية الدولة الاحتكارية التي تمر بها الدول الرأسمالية الناهضة والتي تشكل الدولة القومية فيها سياجا للتوسع فضلا عن صد نزعات الهيمنة الأمريكية .

ـ ان تعارض النزعتين الأممية والوطنية التي افرزتها الرأسمالية المعولمة يتزامن ونهوض قوى وحركات اجتماعية يسارية وأخرى يمينية متطرفة تعتمد العنف وسيلة لتحقيق اهدافها السياسية .

ـ مشكلة البحث.

يرى الباحث ان مشكلة البحث تكمن في أن وحدة العالم الرأسمالية لم تجلب السلام والتقدم الاجتماعي لدول العالم بل تلك الوحدة وسعت من مخاطر النزاعات المسلحة الوطنية / الدولية وشددت من وتيرة المنافسة الرأسمالية المرتكزة على افكار وشعارات جذابة تمكن الدول المتنافسة من الاستيلاء على ثروات الدول الوطنية وأسواقها المحلية .

ـ أهداف البحث.

تتمثل الاهداف الاساسية للبحث في تحليل وحدة العالم المرتكزة على وحدة خيار التطور الرأسمالي فضلا عن تناقضاتها المتجلية في حدة المنافسة الرأسمالية وتباين مستويات تطور اقتصاديات دولها ناهيك عن تحديد طبيعة وفعالية التيارات الفكرية المساندة والمعارضة لدول المنافسة الرأسمالية وتأثيرات ذلك على تطور العلاقات الدولية .

ـ أهمية البحث.

تكمن أهمية البحث في كشف المضامين الواقعية لكثرة من الشعارات السياسية والوصفات الاقتصادية التي تعتمدها المؤسسات المالية الدولية مع التأكيد على فشل سياسة تصدير النظم السياسية التي لا تتجاوب وطبيعة تاريخ التشكيلات الاجتماعية في الدول الوطنية مع تأشير كمية الخراب الهائل التي حملته نزعات الهيمنة على العالم ودوله الوطنية .

ـ مصطلحات البحث.

يتضمن البحث كثرة من المصطلحات التي تتطلب تحديد مضامينها منها ـ

أـ التشكيلة الرأسمالية العالمية.

وأعني بها ترابط مستويات تطور اقتصادات دول العالم الوطنية / الاقليمية / الدولية فضلا عن تأثيرات ذلك الترابط على طبيعة وتطور النزاعات الاجتماعية الوطنية لدول العالم المختلفة المرتكزة على وحدانية خيار التطور الرأسمالي .

ب ـ المنظومة الفكرية للتشكيلة الرأسمالية العالمية

يقصد الباحث بمفهوم المنظومة الفكرية للتشكيلة الرأسمالية العالمية تلك التيارات الفكرية الساندة والمناهضة للرأسمالية المعولمة مع التركيز على مضامين التيارات الفكرية الساندة لسياسة دول المنافسة الرأسمالية .

ج ـ دول الكولونيالية الجديدة

أفرز الطور الجديد من التوسع الرأسمالي اشكالا جديدة من (المشاركة) الخارجية في استثمار الثروات الوطنية وتسعى الدول الاستعمارية القديمة والتي اميل الى تسميتها بدول الكولونيالية الجديدة الى ضم

وإلحاق ثروات الدول الدولية الى بنية احتكاراتها الاقتصادية الدولية الأمر الذي يميزها عن الدول الرأسمالية الناهضة والهادفة الى بناء شراكة اقتصادية متوازنة مع دول العالم.

د ـ الشرعية الدولية

يحدد الباحث مضمون الشرعية الدولية بأنها تعبير مكثف عن توازن المصالح الاستراتيجية للدول الكبرى مرفوعة الى مستوى القانون الدولي .

هـ ـ الايديولوجية الوطنية

حملت العولمة الرأسمالية تيارات فكرية جديدة تمثلت بأحد جوانبها بنهوض النزعة الوطنية والتي تجد تعبيرها بمنحيين الاول الدفاع عن المصالح الحيوية لدولة القومية المهيمنة كما في روسيا والصين والثاني استخدام الوطنية كساتر للدفاع عن مكانة الدولة الوطنية بوجه الانهيار والتخريب .

ز ـ النزعة الاممية .

واقصد بها الميول الاندماجية لحركة رأس المال الامريكي التي انتقلت سيطرته من الحدود الوطنية الى الهيمنة الدولية من خلال دمج رساميل الكثير من الدول الوطنية وتنظيم حركتها الاقتصادية تماشياً وأهداف المصالح الاستراتيجية الامريكية .

ح ـ احزاب اليمين .

يقصد الباحث بأحزاب اليمين تلك المنظمات والتجمعات السياسية الهادفة الى مناهضة النزعات الاممية للرأسمال الامريكي والتركيز على مصالح شركات بلادها الاقتصادية الوطنية وتمكينها من منافسة الشركات الدولية الاخرى وبهذا المعنى فان أحزاب اليمين تسعى الى صيانة مصالح الدولة القومية .

ط ـ اليمين المتطرف.

يرى الباحث في اليمين المتطرف منظمات سياسية انتجها الطور الجديد من التطور الرأسمالي تتحدد أنشطتها السياسية ـ منظمات اليمين المتطرف ـ بالتركيز على أساليب العنف والإرهاب الهادف الى تفكيك مبدأ الشرعية الديمقراطية الضامن لبناء سلطة الدولة السياسية فضلا عن محاولة تفكيك الحركات الوطنية الديمقراطية.

ـ منهج البحث.

اعتمد الباحث في تناوله لموضوعات البحث على المنهج الوصفي التحليلي المرتكز على تحليل تطور الظواهر الاقتصادية / الاجتماعية / السياسية التي أفرزتها وحدة العالم الرأسمالي فضلا عن متابعة مسارها التاريخي ارتباطا بروح المنافسة الرأسمالية وشعاراتها الايديولوجية

ـ هيكلية البحث.

تمت هيكلية البحث على اساس مباحث محددة توخى الباحث منها حصر الظاهرة مثار البحث والسعي الى تحليلها فضلا عن التركيز المكثف على مضامينها .

ـ خاتمة البحث.

في خاتمة البحث خلص الباحث الى تثبيت العديد من الموضوعات الفكرية والسياسية والاجتماعية التي يراها تشكل ركائز أساسية لمضامين بنية البحث التحليلية .

المبحث الأول ـ المنافسة الرأسمالية ، سماتها وأشكالها.

انحسار النزاعات الايديولوجية بعد انهيار ازدواجية خيار التطور الاجتماعي رأسمالي / اشتراكي أثارت الكثير من التغيرات السياسية والاقتصادية على بنية السياسية الدولية حيث اصبحت شعارات الديمقراطية وحقوق الانسان وسائل عالمية تعتمدها كثرة من الدول والمنظمات الدولية فضلا عن الحركات الشعبية . وبهذا المعنى أرى ان تلك الشعارات أصبحت أدوات فاعلة بيد الطبقات الاجتماعية المحرومة من حقوقها السياسية والاجتماعية فضلا عن استخدامها من قبل الدول الوطنية لتطوير العلاقات الدولية على قاعدة المساواة واحترام السيادة الوطنية .

ان التقدير الايجابي لعالمية شعارات الديمقراطية ودورها في الكفاح الانساني لا يمنع القول من أنها ـ شعارات الديمقراطية ـ تحولت لدى الدول الكبرى الى وسائل لتخريب اقتصادات الدول الوطنية ونظمها السياسية وذلك من خلال فرض موديلات سياسية وأنماط ثقافية انتجتها التجربة التاريخية لتطور الدول القومية في البلدان الاوربية .

ـ استناداً الى تلك الرؤى العامة احاول متابعة التيارات الفكرية والشعارات السياسية المحركة لروح المنافسة الرأسمالية بعد تحديد الآليات الناظمة لمسار حركة التشكيلة الرأسمالية العالمية عبر موضوعات عامة مكثفة.

1 ـ السيادة العالمية لنمط الانتاج الرأسمالي انتجت الكثير من الاشكالات الاقتصادية / السياسية / الفكرية منها طبيعة التناقضات المتحكمة في مسار حركة العولمة الرأسمالية والمتمثلة بميول الاندماج والتفكك ، ومنها استراتيجيات دول الكولونيالية الجديدة ازاء الدول الرأسمالية القومية الناهضة التي أنتجها انهيار خيار التطور الاشتراكي ، ومنها مضامين وأشكال المنافسة الرأسمالية بين الدول السائدة عالميا وآفاق تطور تلك المنافسة . وأخيرا تراجع الليبرالية الجديدة كحاضنة أيديولوجية لنزعتي الهيمنة والتفرد .

2 ـ المنافسة الدولية الناتجة عن وحدة العالم الرأسمالي يمكن فحصها انطلاقا من تباين مستويات تطور الاقتصادات الوطنية المنخرطة في العولمة الرأسمالية والمتمثلة (أ) اقتصادات متحكمة ممثلة بدول مثل الولايات المتحدة الامريكية حمل تحول رأسمالها الاحتكاري من نزعته الوطنية الى روح توسعية ابعادا تجاوزت مفاهيم الاستقلال ، السيادة الوطنية وتوازن المصالح الدول القومية والدولية .(ب) اقتصادات رأسمالية ناهضة تمر بمرحلة يمكن تسميتها بـ (رأسمالية الدولة الاحتكارية) تحاول بناء ايديولوجية قومية تستند الى تحالف الدولة الوطنية مع شركاتها الاحتكارية تحت شعارات وطنية .(ج) اقتصادات

رأسمالية ضعيفة التطور تابعة لحركة الرأسمال الدولي مناهضة لنزعات الاندماج والإلحاق التي تشترطها العولمة الرأسمالية.

3 ـ تعارض النزعات التوسعية / الوطنية ومناهضة الإلحاق في العلاقات الاقتصادية الدولية تتجلى في ميلين أولهم سياسة دول الكولونيالية الجديدة الهادفة الى التدخل في الشئون الداخلية لغرض فرض مصالح احتكاراتها الاقتصادية على تطور اقتصادات الدول الوطنية الاخرى . وثانيهم نهوض تيارات وطنية تدافع عن مصالح بلادها الوطنية ، وأخرى يمينية متطرفة تعتمد العنف وسيلة لتحقيق اهدافها السياسية.

4 ـ وحدة العالم الرأسمالية المرتكزة على ترابط آليات اسواقه الدولية / الاقليمية / الوطنية افرزت تنافسا رأسماليا حاداً بين دول الرأسمالية الاستعمارية منها والدول الرأسمالية الناهضة.

5 ـ المنافسة الرأسمالية بين الدول الاستعمارية والناهضة تتحكم في حركتها ثلاث قوانين أساسية أولهم ـ قانون التطور المتفاوت الذي تتحدد مضامينه بتطور دول رأسمالية وتراجع دول رأسمالية اخرى اعتمادا على كثرة من العوامل منها الثروات الوطنية ، عدد السكان ، الموقع الجغرافي ، ناهيك عن طبيعة النظم السياسية الحاكمة ومدى استقلالية قرارها الوطني ([1]) . وثانيهم قانون الاستقطاب الذي يعتبر القانون الأساسي لحركة اسلوب الانتاج الرأسمالي في طوره المعولم ويتمثل هذا القانون بنهوض دول رأسمالية جديدة وتخريب دول اخرى فضلا عن صعود قوى اجتماعية وإفقار قوى اجتماعية اخرى ([2]). وثالثهم قانوناً اسميته قانون الالحاق وهو ـ ميل من ميول قانون الاستقطاب ـ يتمثل بإدماج ثروات الدول الوطنية ضعيفة التطور بالتكتلات الاقتصادية بعد تخريب سيادتها الوطنية وتفكيك تشكيلاتها الاجتماعية ، وبهذا التحديد فان قانون الالحاق يمثل الوجه الآخر لقانون الاندماج بين الشركات الاحتكارية الكبرى.

استنادا الى تلك الموضوعات الفكرية والاقتصادية فان المنافسة بين دول الكولونيالية الجديدة والدول الرأسمالية الناهضة تتجلى في الكثير من الحقول الاقتصادية / السياسية / العسكرية نتعرض لأهمها ـ

أ ـ تسعى الدول الرأسمالية الناهضة في سياستها الاقتصادية الى كسر هيمنة الولايات المتحدة الامريكية على الاسواق المالية العالمية وذلك من خلال تأسيس بنوك عالمية جديدة تتبنى أسساً لتعاون اقتصادي مشترك يسعى الى تطور البنى التحتية لدول ضعيفة التطور فضلا عن اصدار قروض بشروط اقتصادية

([1]) اعتمد لينين في صياغة بعض افكاره في انتاج كتابه الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية على كتاب الباحث الماركسي النمساوي رودلف هليفردينج (الرأسمال المالي) .
ـ انظر لينين الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية مختارات الجزء الثاني دار التقدم موسكو ترجمة الياس شاهين سنة النشر ؟ . ص 49.

([2]) شكلت اليونان نموذجا لذلك التمايز الأمر الذي ادى الى انتقاص سيادتها الوطنية بعد أن فرض الدائنون ـ المفوضية الأوروبية والبنك المركزي الأوروبي وآلية الاستقرار الأوروبية وصندوق النقد الدولي ـ مذكرة التفاهم المتضمنة خصخصة الموانئ والمطارات والسكك الحديد ومحطات الطاقة .

لا تنتهك سيادة البلدان الوطنية وبهذا السياق تشكل البنوك التي جرى تأسيسها في الصين بنك التنمية وبنك بريكس أمثلة جديرة بالدراسة . ([1])

ب ـ ان تأسيس البنوك المشار اليها ينتج اثارا اقتصادية وسياسية اهمها زيادة سلة العملات الدولية بإضافة اليوان الصيني فضلا عن تعاون دول بريكس بالعملات الوطنية وما يفرزه ذلك من اضعاف لهيمنة الدولار الاقتصادية . وثانياً جذب الدول ذات الاقتصادات الضعيفة لطلب المعونة الاقتصادية من البنوك الناشئة وما ينتج عن ذلك من اضعاف شروط المؤسسات المالية الدولية ويساهم في اضعاف فكر الليبرالية الجديدة الاقتصادي. وثالثاً تنعكس النتائج الاقتصادية للبنوك المالية الجديدة ايجابا على العلاقات الدولية وما يعنيه ذلك من تحول العالم الى عالم متعدد الاقطاب .

ج ـ يشكل المجمع الصناعي ـ العسكري في دول الكولونيالية الجديدة منها والناهضة اساسا لتطور الصناعات العلمية والتكنولوجية الوطنية الامر الذي جعل إنتاج وتصدير الاسلحة الجديدة وتقنياتها المتطورة مصدرا من مصادر حقول المنافسة الرأسمالية خاصة بعد أن صنعت روسيا والصين فضلا عن الهند أنواعا متطورة من الاسلحة الدفاعية والهجومية تلقي رواجا في الأسواق الدولية ([2]).

د ـ تشهد الأسواق العالمية منافسة حادة بين الدول المنتجة للنفط والغاز وبهذا السياق تحاول الولايات المتحدة الهيمنة على السوق الدولية من خلال زيادة مخزونها الاحتياطي من النفط أو عبرانتاجها للنفط الصخري الأمر الذي دفع دول متعددة بمقاومة نزعات الهيمنة على السوق النفطية عبر اغراق السوق بكميات كبيرة من النفط لغرض اخراج الشركات الأمريكية من حقول انتاج النفط الصخري على الرغم من سلبيات ذلك الاغراق على اقتصاديات الدول المنتجة للنفط .

هـ ـ يشكل انتشار استخدام الطاقة النووية لإغراض سلمية مؤشرا على فتح اسواق جديدة للمنافسة الرأسمالية بين الدول النووية خاصة بعد الاتفاق النووي بين ايران والدول الكبرى وما حمله ذلك من أهمية استخدام الطاقة النووية لتطوير البنى التحتية في الدول المختلفة وتنمية اقتصادياتها الوطنية وبهذا السياق تسعى روسيا الى تقديم خبرتها الاقتصادية في مجال استخدام الطاقة النووية السلمية الى دول العالم خاصة بعد ان أنشأت مركزاً للوقود النووي يهدف الى تقديم خدمات لإنشاء مفاعلات نووية لأغراض سلمية ([3]).

و ـ المنافسة في الحقول السياسية بين الدول الرأسمالية القديمة منها والناهضة تتمحور حول سيادة القوانين الدولية في العلاقات بين الدول حيث ترى الدول الرأسمالية الناهضة ان المنافسة الاقتصادية

([1]) أطلقت دول بريكس في قمتها السابعة في تموز لسنة 2015 ، بنك التنمية الجديد البالغ رأسماله 100 مليار دولار أمريكي والهادف الى تمويل مشاريع البنى التحتية لبلدان المنظمة والدول النامية.

([2]) تشير دراسة صادرة عن المركز الدولي لابحاث السلام في استكهولم الى ان روسيا حافظت على المركز الثاني عالميا بع الولايات المتحدة الامريكية كما ان الصين جاءت في المركز الثالث في الفترة 2010 ـ 2014 وبذلك سيطرت الولايات المتحدة وروسيا والصين والمانيا وفرنسا على نحو 74 % من حجم تجارة الاسلحة في العالم . انظر موقع العربية الالكتروني تاريخ 16 /03 /2015 على الرابط http://www.alarabiya.net/

([3]) طالب نوران وشاش العلاقات الدولية وتدويل الطاقة النووية مركز الكتاب الاكاديمي 2015 ص 134 ـ 135

والنزاعات السياسية بين الدول تتطلب الالتزام بقوانين الشرعية الدولية بينما ترى الولايات المتحدة الامريكية ان هيمنتها الدولية تشترط عدم الارتكان لقواعد القانون الدولي المتعلقة باحترام السيادة الوطنية وعدم التدخل الدولي في شئون الدول الوطنية .

ز ـ التعارض بين سياسة الدول المتنافسة تشترط تحديد الترابط بين القانون والسياسة انطلاقاً من أن القانون بمضامينه الوطنية ما هو إلا تعبيرا عن توازن المصالح الطبقية في التشكيلات الاجتماعية الوطنية ، بينما تعبر الشرعية الدولية وقوانينها عن توازن القوى في السياسة الدولية ، لهذا فان استمرارية سيادة القانون بشكليه الوطني والدولي تشترط استمرارية توازن القوى في الداخل الوطني وتوازن مصالح الدول في العلاقات الدولية الامر الذي يؤكد على ان اختلال ذلك التوازن يؤدي الى توظيف القوانين الدولية لصالح سياسة الدول الكبرى ، وما ينتجه ذلك من تغليب منطق القوة على قوة القانون .

ح ـ أدت سياسة الهيمنة الامريكية وتجاهل قوانين الشرعية الدولية الى انقسام السياسية الدولية استناداً الى تكريس ظاهرتين في العلاقات الدولية الاولى منهما إدامة الاحلاف العسكرية انطلاقا من تواصل فعالية التحالف الاطلسي العسكرية ومحاولة إنشاء تحالفات استراتيجية بين دول الرأسمالية الناهضة وهذا ما تبدى من خلال تعزيز القدرات العسكرية للصين وروسيا الاتحادية وتطوير تعاونهما الاقتصادي والعسكري الى مستويات استراتيجية وبهذا المنحى يشير بعض الباحثين الى اعتبار منظمة شنغهاي للتعاون الاقتصادي اطارا ناهضا لحلف عسكري جديد مناهض لوحدانية التحالف الاطلسي . أما الظاهرة الثانية فتتمثل في نشوء وبناء تكتلات اقتصادية تشكل أدوات دولية لضبط المنافسة الدولية على أساس توازن مصالح الدول الرأسمالية الناهضة مع الدول الرأسمالية الاستعمارية ([1]).

خلاصة القول ان التشكيلة الرأسمالية الدولية المعاصرة تتعرض الى انقسامات بسبب اصرار دول الكولونيالية الجديدة على سيادة مصالحها الاقتصادية والتمسك بسياسة تعميم رؤيتها السياسية ومنظوماتها الثقافية والأيديولوجية على دول العالم المختلفة .

المبحث الثاني ـ دول المنافسة الرأسمالية وتيارات فكرها السياسي.

1 ـ دول الكولونيالية الجديدة وسمات فكرها المعاصر.

([1]) نتيجة لسياسة المنافسة الرأسمالية وروح الهيمنة الامريكية ظهرت الكثير من التكتلات الاقتصادية في مختلف القارات منها النافتا ، الاتحاد الاوربي ، اتحاد دول أمريكا اللاتينية ، منظمة شنغهاي للتعاون التي تأسست عام 2001 التي تضم الصين وروسيا، كازاخستان، قرغيزيا وأوزبكستان، فضلا عن الهند وباكستان . ومنظمة بريكس التي تأسست عام 2009 والمتكونه من الدول ذوات الاقتصادات الصاعدة الصين ، البرازيل ، روسيا ، الهند وجنوب افريقيا .

يتميز الفكر السياسي في دول الكولونيالية الجديدة بتعدد تياراته الفكرية والسياسية والتي تعكس بهذا الشكل أو ذلك مصالح الكثير من الطبقات والحركات الاجتماعية وبهذا المعنى يمكننا تحديد المضامين الفكرية لأهم التيارات الرئيسة الفاعلة بـ ـ

أـ تيار الليبرالية الجديدة

ـ ادت وحدانية خيار التطور الرأسمالي الى صعود الليبرالية الجديدة التي يمكن توصيفها بكونها أيديولوجية شمولية تعبر عن مصالح راس المال الامريكي ونزعته الأممية .

ـ تكمن شمولية الليبرالية الجديدة التي حملها المحافظين الجدد في العقدين الأخيرين في كونها تتشكل من عدة دوائر أساسية أولاهما الدائرة الاقتصادية المرتكزة على السوق الحرة ووصفات المؤسسات المالية الدولية الهادفة الى ابعاد الدولة عن وظائفها الاقتصادية / الخدمية فضلا عن مطالبتها بتحجيم مكتسبات المواطنين الاجتماعية وما ينتج عن ذلك من خراب اقتصادي ـ اجتماعي للبلدان الوطنية وتشكيلاتها الاجتماعية . ثانيتهما الدائرة السياسية المتمثلة بشعارات الديمقراطية السياسية وإعادة بناء الانظمة الوطنية عبر تدخلات عسكرية خارجية أفضت الى تفكك الدول المستهدفة ناهيك عن انحدار تشكيلاتها الاجتماعية نحو الهويات الفرعية وسيادتها في الحياة السياسية. ثالثتها الدائرة العسكرية المستندة الى سيادة التحالف الاطلسي واستبدال الشرعية الدولية بشرعية أطلسية تقوم على التدخل العسكري تحت شعارات مكافحة الإرهاب ،التدخل الانساني والإطاحة بالنظم الدكتاتورية . اخرتهما الركيزة التاريخية حيث اقدم الليبراليون الجدد على اعادة كتابة التاريخ بهدف إدانة الكفاح الوطني وملفاته السياسية و الاقتصادية المتمثلة بـ بالاستقلال والسيادة الوطنية ، انهاء التبعية الاقتصادية وتطوير التنمية الوطنية ـ وبالضد من ذلك شرع منظرو مراجعة التاريخ الى تمجيد الغزو والعدوان وبهذا المسار جرى توصيف الجرائم الكبرى التي اقترفتها الدول الكولونيالية تحت رايات (تمدين الشعوب المتخلفة) الى مستوى المآثر التاريخية للدول الكولونيالية.

ان صعود الليبرالية الجديدة وانحدارها السريع جاء نتيجة حتمية لوحدانية تمثيلها لمصالح الشركات الاقتصادية الأمريكية وافتقارها لمبدأ موازنة المصالح الوطنية / الدولية فضلا عن ازدراءها لتاريخ الدول الوطنية وثقافة تشكيلاتها الاجتماعية([1]).

ب ـ التيارات اليمينية

تتزايد الاهمية التاريخية لفعالية أحزاب اليمين الاجتماعية لما لها من تأثير على تطور الحياة السياسية للدول الأوربية وبهذا المنحى نلاحظ أن أنشطة اليمين السياسية تنطلق من اعلاء شأن الهوية الوطنية وصيانة ركائزها الاقتصادية / الثقافية / السياسية معبرة ـ أحزاب اليمين ـ عن مصالح الشركات

([1]) لمزيد عن أفكار الليبرالية الجديدة يراجع، النابلسي، شاكر ، اليبراليون الجدد، جدل فكري، منشورات الجمل كولونيا بغداد، 2005؛ حاتم ، لطفي، موضوعات في الفكر السياسي المعاصر، الاكاديمية العربية كوبنهاكن، ص 11 ولاحقاً.

الرأسمالية الوطنية ومساندتها ضد النزعات التوسعية للرأسمال الامريكي . وبضد من ذلك يتسم الفكر السياسي الناظم لحركة اليمين المتطرف ورغم ضجيجه الوطني بكونه فكرا سياسيا عابرا للهويات الوطنية متجاوبا وتوجهات الليبرالية الجديدة وكفاحها الهادف الى الهيمنة الدولية .

ج ـ تيار الاشتراكية الديمقراطية

ساعد خيار التطور الاشتراكي وانتشار أيديولوجية الفكر اليساري على بناء تيار الاشتراكية الديمقراطية باعتبارها بديلا ديمقراطيا عن الدولة الشمولية بنسختها السوفيتية إلا ان دولة الضمان الاجتماعي التي أنشأتها أحزاب الاشتراكية الديمقراطية بدأت بالتراجع لأسباب كثيرة منها انحسار فكر اليسار الاشتراكي ومنها تقارب أحزاب الاشتراكية الديمقراطية وفكرها السياسي مع توجهات اليمين الاوربي ومنها اعتمادها الجانب الاقتصادي من الليبرالية الجديدة وبالتحديد منها الخصخصة وتحجيم تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية وأخيرا تخلي دولة الضمان الاجتماعي عن سياسة الحياد في العلاقات الدولية ومعارضة نهج التدخلات العسكرية.

ختاماً لابد من التأكيد على أن احزاب الاشتراكية الديمقراطية خاصة في دول الرفاه الاجتماعي تعاني من الضياع الفكري والسياسي بعدما تخلت عن ضوابطها الفكرية ومصالح قاعدتها الاجتماعية([1]).

د ـ حركات اليسار الديمقراطي

ـ تتشكل حركات اليسار الديمقراطي من مختلف الحركات الشعبية اليسارية المتميزة بطابعها الأممي المناهض لسياسية التدخل العسكري ونهج الغزو والعدوان ورغم أممية حركات اليسار الديمقراطي إلا ان شعاراتها تتسم بروح وطنية مرتكزة على اشاعة العدالة الاجتماعية وحرية الدول في اختيار اتجاهات تطورها السياسي / الاقتصادي فضلا عن اعتمادها ـ الحركات اليسارية ـ على منظومة القيم الديمقراطية في كفاحها الوطني / الأممي وذلك رداً على فشل الليبرالية الجديدة في بناء الديمقراطية بأطرها السياسية والاجتماعية فضلا عن انحسار مبادئها العامة في النظم السياسية الغربية .

ـ استنادا الى ذلك يرتكز الفكر السياسي الناظم لحركات اليسار الاشتراكي على ثلاث روافع فكرية الاولى رافعة الديمقراطية التي اصبحت ثقافة عامة تشترطها الاخلاق والمساواة الانسانية . والثانية رافعة العدالة الاجتماعية والمساواة بين قوميات وطبقات التشكيلات الاجتماعية الوطنية ، وأخيرا التأكيد على التنمية الاقتصادية الوطنية ورفض وصفات المراكز المالية الهادفة الى تعطيل وتخريب اقتصادات الكثير من الدول الوطنية .

([1]) تشكل دول الضمان الاجتماعي نموذجا سياسيا اقتصاديا جديرا بالدراسة انطلاقا من تراجع الكثير من أحزاب الاشتراكية الديمقراطية عن نظمها الفكرية فضلا عن توجه أحزاب اليمين فيها نحو الانخراط في البنية العسكرية لحلف الناتو.

أخيرا لابد من الاشارة الى ان الجديد في فكر الحركات الشعبية اليسارية يكمن في دعوتها الى تحقيق العدالة الاجتماعية من خلال ربطها بإعادة بناء العلاقات الدولية على قاعدة ديمقراطية انطلاقا من مبدأي المساواة واحترام السيادة الوطنية.

2 ـ دول الرأسمالية الناهضة وسمات فكرها الوطني.

ـ تتباين دول العالم في مستويات تطورها الاقتصادي ـ الاجتماعي فهناك دول رأسمالية متحكمة في العلاقات الاقتصادية الدولية وهناك دول رأسمالية ناهضة تتمثل في دول بريكس ناهيك عن دول كثيرة يختلف بناء تطورها الاقتصادي استنادا الى مدى تبعية اقتصادياتها الى الدول الرأسمالية الفاعلة على صعيد العلاقات الدولية .

استنادا الى ذلك التشابك والترابط بين مستويات تطور الدول الاقتصادي وانطلاقا من قانون المنافسة الرأسمالية نحاول التوقف عند الفكر السياسي الفاعل في الدول الرأسمالية الناهضة .

ـ ادى انهيار نموذج الدولة الاشتراكية الى تفكك موضوعات الفكر السياسي الناظم للحياة السياسية والاقتصادية في الدول (الاشتراكية) الامر الذي دفعها الى تبني وصفات الليبرالية الجديدة التي سرعان ما أدت الى نشوء طبقات جديدة من الرأسماليين سعت الى تخريب ونهب قطاعات الدولة الاقتصادية والخدمية وما أفرزه ذلك من إشاعة البطالة والفقر في تشكيلاتها الاجتماعية.وبهذا السياق قدمت روسيا في عهد الرئيس يلسن نموذجا لسياسة العلاج بالصدمة التي اشترطتها المراكز المالية على قيادة الاتحاد الروسي ([1]).

ـ نشوء طبقات برجوازية جديدة في الدول (الاشتراكية) افضى الى تباين مسارات تطورها وذلك تبعا لطبيعة الشرائح الطبقية المتحكمة في تحديد اتجاهات تطور بلدانها السياسي والاقتصادي واستنادا الى ذلك انقسمت الدول (الاشتراكية) الأوربية الى قسمين أحدهما سعى الى الاندماج في الاتحاد الاوربي فضلا عن ترابطه مع البنية العسكرية الاطلسية الأمر الذي عكس ضعف الطبقة البرجوازية الجديدة وخشيتها من الحركات الشعبية المناهضة لسياسات الليبرالية الجديدةالتي قادت الى الافقار والتهميش.

ـ سياسة البرجوازية الحاكمة في الدول (الاشتراكية) الأوربية الهادفة الى ربط استقلالها وتنميتها الاقتصادية بالدول الرأسمالية الكبرى أشر الى عدم امتلاك الشرائح الطبقية الحاكمة الى فكر سياسي يضمن تطورها الاقتصادي ـ السياسي اللاحق وبهذا المعنى يمكن تفسير اعتماد الطبقات البرجوازية الحاكمة على الأحزاب اليمينية المتطرفة بهدف إدامة سيطرتها السياسية([2]).

([1]) في كتابها ـ عقيدة الصدمة أو صعود رأسمالية الكوارث ـ المنبثقة من استغلال الانقلابات العسكرية ، انهيار الأسواق الوطنية ، الحروب الداخلية والغزوات الخارجية تشير الكاتبة كلاين نعومي الى ان الاصلاح بعقيدة الصدمة يترافق وانتشار الفساد كما في الارجنتين وروسيا في مطلع التسعينات .

ـ انظر كلاين نعومي عقيدة الصدمة ص 347 وما يليها ، شركة المطبوعات والتوزيع بيروت الطبعة الاولى 2009 ترجمة نادين خوري

([2]) ترتكز ايديولوجية اليمين المتطرف في بعض بلدان أوربا الشرقية على تأجيج العداء للروس والدعوة الى طرد الاقليات القومية والدخيلة كما هو حاصل في اوكرانيا وبولونيا .

ـ القسم الثاني من الدول (الاشتراكية) نجده ممثلا بروسيا الاتحادية التي نجحت طبقتها البرجوازية بعد انحسار الفوضى الاقتصادية ـ السياسية التي ميزت عهد الرئيس يلسن([1]) بفرز قيادة جديدة عملت على بناء ايديولوجية وطنية ترتكز على ثلاث مفاصل اساسية (أ) تمجيد التاريخ الروسي بمراحله المختلفة وإعلاء مكانته في العلاقات الدولية . (ب) التركيز على الثقافة الوطنية الروسية بروافدها القومية التي انتجها التاريخ الامبراطوري والسوفيتي . (ج) ترابط التاريخ والثقافة الوطنية مع الكنيسة الأرثوذوكسية وتطوير مركزها العالمي في الديانة المسيحية الشرقية ([2]).

ـ ان الوطنية الروسية التي يتبناها حزب روسيا الموحدة يمكن توصيفها بأيديولوجية قومية تهدف الى حماية دولة الرأسمالية الناهضة مباركة ـ الوطنية الروسية ـ من الحركات والأحزاب اليسارية واليمينية ـ الحزب الشيوعي الروسي ، الحزب الليبرالي الديمقراطي الروس ، حزب روسيا فقط ـ التي تسعى الى اعادة بناء الدولة الروسية بما يضمن تطور علاقاتها الدولية على قاعدة المنافسة والندية([3]).

ـ تنامي الايديولوجية الوطنية في روسيا يتزامن مع تطور الروح الوطنية في الصين التي تحاول الاعتماد عليها كسياج أيديولوجي لحماية وحدة بلادها الوطنية .وبهذا المنحى ارى ان الوطنية الصينية تتشكل من الركائز التالية ـ (أ) قيادة الحزب الشيوعي الصيني لسلطة الدولة رغم تحوله من حزب طبقي الى حزب للوحدة الوطنية حيث يجمع في صفوفه مختلف الانتماءات الطبقية بما فيها ممثلي الطبقة البرجوازية الناهضة . (ب) سيادة قطاع الدولة الاقتصادي وقيادته لتوجهات تطور الاقتصاد الوطني بما يخدم إدامة التوازنات الاجتماعية . (ج) الاعتماد على المؤسسة العسكرية التي تشكل اداة رئيسية للاستقرار السياسي ناهيك عن دورها في تطور المجمع الصناعي العسكري الصيني .

ـ ان انتقال الصين من نمط الانتاج الاشتراكي الى نمط رأسمالية الدولة وسوقها (الاشتراكي) أفضى الى ضبط التحولات الاجتماعية الناتجة عن عملية الانتقال وتلافى حدوث انهيارات في بنية الدولة السياسية وتشكيلتها الاجتماعية وبهذا المنحى يشير الباحث الامريكي ايان بريمر الى أن رأسمالية الدولة تعتمد على اربع أعمدة فاعلة هي (شركات النفط الاحتكارية ، الشركات المملوكة للدولة ،الشركات الوطنية التابعة للقطاع الخاص والنصيرة للدولة وصناديق الثروة السيادية) لهذا يمكن القول ان الفكر

([1]) انظر الدليمي نجم ملاحظات اولية حول تنفيذ برنامج الخصخصة ـ نموذج روسيا الاتحادية الحوار المتمدن عدد 1000 على الرابط التالي ـ
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=25724

([2]) حاتم لطفي العلاقات الدولية وأزمة اوكرانيا السياسية الحوار المتمدن تاريخ 5/ 5 / 2014 على الرابط التالي ـ
http://ahewar.org/rate/bindex.asp?yid=9066

([3]) يشير جان باتو في مقاله الإمبريالية الروسية الى ان قطاعات من أحزاب اليمين في أوروبا الشرقية، تدعمُ الاتحادَ الفدرالي الروسي مثل «الحزب القومي» في سلوفاكيا و «جوبيك» في هنغاريا، و «الحزب القومي الديموقراطي» في ألمانيا، و «الجبهة الوطنية» في فرنسا، و «حزب الحريّة» في النمسا، «العصبة الشمالية» و «القوة الجديدة» في إيطاليا و «حزب المصلحة الفلمنكية» في بلجيكا . ـ انظر ـ الحوار المتمدن-العدد: 4965 - 2015 / 10 / 24 - 15:45 على الرابط التالي ـ
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=489808

الوطني للحزب الشيوعي الصيني وسوقه الاشتراكي شكلا سياجا اقتصاديا ـ فكريا لتطور رأسمالية الدولة الاحتكارية بإطارها الصيني([1]).

ـ ان ركائز الوطنية الصينية وسوقها الاشتراكي اثارا سجالا فكريا حول توصيف التحولات الاقتصادية الجارية في الصين رأسمالية / اشتراكية ناهيك عن نتائجها الاجتماعية المتمثلة بـ : إفقار ملايين العمال ، هجرة متزايدة من الريف الى المدينة ، اتساع القاعدة الاجتماعية للطبقة الوسطى فضلا عن ظهور شريحة اصحاب الملايين([2]).

ان اشارتنا الى الفكر السياسي الناظم لبنية بعض النظم السياسية لدول بريكس لا يعني تجاهلا لفكر سياسي اخر يكمن في تطور النزعة القومية في العديد من البلدان الرأسمالية الناهضة وتشكل الهند نموذجا لتطور الفكر القومي ذو النزعة اليمينية التي يمثلها حزب جاناتا الحاكم الهادف الى بناء الدولة الهندية الرأسمالية بشكل يسمح لها بخوض المنافسة الرأسمالية بفعالية دولية ([3]).

أخيرا يمكننا القول ان الفكر السياسي الناظم لبنية النظم السياسية في الدول الرأسمالية الناهضة يشكل نموذجا للدول الوطنية الاخرى في بناء وحدتها الوطنية ورسم موديلاتها الاقتصادية بعيدا عن مخاطر التبعية والهيمنة والإلحاق .

استنادا الى الرؤى والركائز الفكرية لبنية البحث التحليلية يمكننا صياغة الاستنتاجات الآتية ـ

أولا ـ شهد انهيار الفكر السياسي الناظم للعلاقات الدولية المرتكز على صراع الايديولوجيات تغيرات هامة تمثلت بظهور تيارات فكرية سياسية جديدة تتميز بتعدد مضامينها وأشكالها معبرة بذلك عن وحدة وتناقض التشكيلة الرأسمالية العالمية ونظمها السياسية.

ثانيا ـ أفضت وحدانية التطور الرأسمالي وسيادة الليبرالية الجديدة بمضامينها ـ السوق الحرة ، التدخل في الشؤون الداخلية ، تشديد النزعة العسكرية ـ الى تأجيج المنافسة الرأسمالية وما نتج عنها من نزاعات دولية .

([1]) بريمر ايان رأسمالية الدولة عصر يتشكل هل هو نهاية السوق الحرة دراسات اجتماعية ـ اقتصادية معاصرة مجموعة باحثين دار الرواد الطبعة الاولى 2015 ترجمة هاشم د . هاشم نعمة ص 154 – 155.

([2]) مسعود ضاهر الصين ـ اشتراكية تنتج أصحاب الملايين السفير البيروتية السبت ، 05 كانون الاول، 2009 . على الرابط التالي ـ http://assafir.com/Article/217/182712/AuthorArticle

ـ كما يمكن معاينة عبدالاله مجيد دور الطبقة الوسطى واتساعها في الصين ايلاف الاكترونية العدد 5259 الخميس 15 أكتوبر 2015 على الرابط التالي ـ http://elaph.com/Web/News/2015/10/1047439.html#sthash.u7ZfVPfC.dpuf

([3]) يسعى الحزب الهندوسي القومي (حزب الشعب الهندي) الذي استلم السلطة بعد حصوله على اغلبية برلمانية الى تشديد النزعة القومية ـ الدينية واستخدامها لدفع عجلة التطور الاقتصادي لضمان موقع الهند في المنافسة الرأسمالية رغم ان الحزب المذكور يتعثر في بناء وحدة وطنية بسبب عدائه للمسلمين وذلك بعكس حزب المؤتمر الوطني الهندي الذي حاول بناء الهند على علاقات متوازنة في الداخل الوطني ناهيك عن توازن سياسته في العلاقات الدولية .

ـ انظر السمنودي دينا يحيى ـ الهند القوميون .. الهندوس يمسكون بالسلطة صحيفة الديمقراطية الالكترونية على الرابط http://democracy.ahram.org.eg/News/1092/Subscriptions.aspx

ثالثا ـ ظهور تيارات فكرية سياسية على صعيد العلاقات الدولية اشر الى استحالة سيادة ايديولوجية واحدة ناظمة لسير تطور العلاقات الدولية

قائمة المصادر

أولا ـ الكتب

1 ـ النابلسي، شاكر ، الليبراليون الجدد، جدل فكري، منشورات الجمل كولونيا ـ بغداد، 2005؛

2 ـ بريمر ايان، وآخرون، رأسمالية الدولة عصر يتشكل هل هو نهاية السوق الحرة دراسات اجتماعية ـ اقتصادية معاصرة، ترجمة هاشم نعمة دار الرواد، بغداد، الطبعة الاولى 2015.

3ـ حاتم، لطفي، موضوعات في الفكر السياسي المعاصر، الاكاديمية العربية كوبنهاكن 2010.

4ـ كلاين نعومي، عقيدة الصدمة ، ترجمة: نادين خوري، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت الطبعة الأولى .2009

5 ـ لينين، الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية مختارات الجزء الثاني دار التقدم موسكو ترجمة الياس شاهين سنة النشر ؟

6 ـ طالب نوران وشاش، العلاقات الدولية وتدويل الطاقة النووية السلمية مركز الكتاب الاكاديمي 2015.

ثانياً ـ المواقع والصحف الاكترونية

1ـ دراسة عن المركز الدولي الابحاث السلام في استكهولم عن الدول الكبرى المصدرة للسلاح على موقع العربية الالكتروني تاريخ 16.03.2015

على الرابطhttp://www.alarabiya.net/

2 ـ الدليمي نجم ملاحظات أولية حول تنفيذ برنامج الخصخصة ـ نموذج راسيا الاتحادية الحور المتمدن عدد 1000 على الرابط التالي ـ

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=25724

3 ـ حاتم لطفي العلاقات الدولية وأزمة اوكرانيا السياسية الحوار المتمدن تاريخ 5/ 5 / 2014 على الرابط

http://ahewar.org/rate/bindex.asp?yid=9066

4ـ جان باتو الإمبريالية الروسية الحوار المتمدن-العدد: 4965 - 2015 / 10 / 24 - 15:45 على الرابط

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=489808

5- مسعود ضاهر الصين: اشتراكية تنتج أصحاب الملايين السفير البيروتية السبت، 05 كانون الاول، 2009 . على الرابط

http://assafir.com/Article/217/182712/AuthorArticle

6 - عبدالاله مجيد دور الطبقة الوسطى واتساعها في الصين صحيفة ايلاف الاكترونية العدد 5259 الخميس 15 أكتوبر 2015 على الرابط

http://elaph.com/Web/News/2015/10/1047439.html#sthash.u7ZfVPfC.dpuf

7 ــ السمنودي دينا يحيى ـ الهند القوميون الهندوس يمسكون بالسلطة صحيفة الديمقراطية الالكترونية على الرابط

http://democracy.ahram.org.eg/News/1092/Subscriptions.aspx